مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17 العدد 02 السنة 2021/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الآراء الكلامية عند الاشاعرة وأثرها على ممارساتهم الروحية والاجتماعية

The verbal opions of the Ashari and it is effect on their spiritual and social practices

د. عمر بوخاري*

جامعة ابن خلدزن –تيارت

sawarab1954@gmail.com

تاريخ الاستلام:2020/10/27 تاريخ القبول: 2020/11/09

الملخص:

يُعد علم الكلام أهم فروع الفلسفة الاسلامية، وأكثرها أصالة، ومع ذلك لم يلق قبولا لدى جميع المسلمين، اذ تباينت المواقف والرؤى بإزائه بين مؤيد له بإطلاق أو معارض له بإطلاق، وبين من توسط الرأيين، يرى انتفاءه بانتفاء السبب، وهو موقف الاشاعرة الذين لا يرون ضرورة أن يتعلم المسلمون علم الكلام، ان لم يكن هناك ما يدعوا الى استخدامه، ولكن بعد ان بدأت تظهر فرق مُشككة في عقيدة أهل السنة والجماعة، واجهوا مُخالفيهم، وبرعوا في تقديم البراهين الكلامية، وقدموا أراء وحججا دامغة، انطلاقا من الكتاب والسنة، وهي مسائل واشكاليات تحتاج منّا الى آليات وأدوات تحليلية لإخراج النص من حيزه المعبر عنه بلغة اهل الكلام، وتبيين دلالات ومرامي الألفاظ في السياقات والردود الكلامية التي جاء بها علماء الاشاعرة.

الكلمات الدالة: علم الكلام، الاشاعرة، القرآن والسنة، المذهب .

Abstract:

Theology is considered as the most important and authentic branch of Islamic philosophy, yet it was not accepted by all Muslims, as positions and visions about it differed between those who gave it complete support or those who opposed it completely, and those who mediated the two views, seeing their disappearance is by the absence of the reason, which is the position of the Ashaira who did not see the necessity for Muslims to learn the science of speech, if there is no reason to use it. But after it began to appear teams questioning the doctrine of the Sunnis and the Djamaa 'community'These are issues and problems that require from us the mechanisms and tools of his analysis to extract the text from his space expressed in the language of the speech community, and to show the indications and goals of the words in the contexts and verbal responses that the scholars of Achaira have brought.

Key Words: Theology, Achaira, Quran and Sunnah, doctrine

* **المؤلف المرسل:** عمر بوخاري، **الايميل:** sawarab1954@gmail.com

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مقدمة:

احتلّ علم الكلام بأبعاده وانعكاساته مكانة بارزة في التاريخ الاسلامي، ومثّل بانتشاره نقطة تحول هامة في تاريخ الفكر العقائدي، حيث أصبحت أغلبية أهل السنة والجماعة تتبنى المذهب الكلامي الجديد، وتحول إلى أداة من أدواتها في الإقناع وإثبات الحجة، ومن خلاله سدّد الأشاعرة رميتهم نحو خصومهم، ومخاليفهم .

وعلى الرغم مما لاقاه علم الكلام من التجني ومحاولة صرفه عن الأُطر التي أنشئ لأجل استيفاء الأغراض العلمية في تثبيت الأصول ونفي ترهات الفرق، إلا أنه لازال يحتفظ بهويته المستقلة، التي تبدوا فيها أصوله الاسلامية واضحة جلية، واقتداره على إثبات العقائد الدينية على المخالفين والغلاة بسَوْقِ الحجج والبراهين .

وإن كان ظنّ بعضهم أن هذا العلم قد تلاشى، وتبدلت قواعده ومحدداته كعلم مستقل له أدواته وآلياته في إثبات الحجاج والأدلة، وخامرهم أن معالمه كعلم إسلامي أصيل قد توارت وانمحت.

ومهما يكن من أمر، فإن مَنْ تقوّلوا على ذات الله تعالى، ووظفوا سقطاتهم في الاقناع وتثبيت ما ليس من أصول الشريعة، فقد تلقوا من الحجاج والبراهين ما نكص رؤوسهم وأبطل ما كانوا يفعلون .

ومن هذا المنطلق نشأت أهمية الدراسات والميل إلى البحث في هذا الموضوع، محاولة منّا للكشف عن جانب من جوانب التراث الفكري من ناحية، وتجلية المرتكزات العقائدية للأشاعرة ومنطلقاتهم الفكرية من خلال أراءهم الكلامية من ناحية أخرى، .مع ما يتطلب الموضوع من التدقيق والتأني، والنظرة التأملية الفاحصة، خاصة وأن الأمر يدور حول أجل المسائل وأخطرها وهي مسألة التوحيد.

ومن أجل أن يتحقق لدينا اكتمال في هذا الموضع وبنائه بأدواره الثلاث " الافتتاح ، والاكتمال، الخاتمة" عمدنا الى طرح جملة من المسائل منها: ما علم الكلام وما هي مكانته عند الاشاعرة؟ وما هي أهم أراءهم الكلامية في الإثبات والنفي.الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

تعريف علم الكلام:

هناك عدّة تعريفات لعلم الكلام، تقاربت في موضوعاته ومسائله واختلفت من حيث منطلقاته.....فالفرابي صاحب كتاب التأصيل يعرف بالآتي قوله: »...وصناعة الكلام يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملّة ، وتزييف كلّ ما خالفها بالأقاويل.(الفرابي،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

1996، ص86). ويرى بعد ذلك أن علم الكلام جزآن، جزء للأراء والآخر أفعال، ويرى أن الفقيه والمتكلم عضدان على نصرة الآراء، لأن الفقيه يأخذ الآراء التي صرح بها واضع الملّة، ويجعل منها مرتكزات لأصول الشرع ويستنبط منها ما يرومه من الأشياء، والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولا من غير أن يستنبط منها شيئا، ويرى أن الفقيه إذا كان ذو مقدرة على أن يجمع بين الأمرين فهو فقيه متكلم، فتكون نصرته لها بما هو متكلم واستنباطه عنها بما هو فقيه. (الفرابي، 1996، ص86)

ويصرح الايجي في المواقف أن: »...الكلام علم يقتد معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم «. (الايجي، 1999، ص07).

ونحن إذا ما أمعنا النظر في التعريفين السابقين تبيّن أن كلاً من الفرابي والايجي قد جعلا علم الكلام يتأسس على نصرة العقيدة الاسلامية، دون تمييز بين الفرق الاسلامية .

وفي مقابل ذلك فإن هناك من حبس وظيفة نصرة العقيدة على أهل السنة والجماعة، في تعريفهم لعلم الكلام، كابن خلدون عبد الرحمان قوله: »هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة. «(ابن خلدون، 2004، ص182).

وعلى أية حال فإن علم الكلام عموما يبحث في العالم من حيث دلالته على الله تعالى، إذ يلاحظ أن المباحث الطبيعية عند المتكلمين ليس القصد منها تفسير العالم، وإنما القصد منها إثبات أن العالم حادث وليس قديما وهو في حاجة إلى من يحدثه. (المغربي، 1990، ص15).

إلاّ أن أوسع ما ورد من تعريفات علم الكلام عند جمهور العلماء هو ما أورده التهناوي قوله: »ويسمى بأصول الدين، وسماه أبو حنيفة رحمه الله تعالى بالفقه الاكبر. وفي مجمع السلوك ويسمى بعلم النظر والاستدلال ، ويسمى أيضا، بعلم التوحيد والصفات. وفي شرح العقائد للتفتزاني: العلم المتعلق بالأحكام الفرعية، أي العملية يسمى علم الشرائع والأحكام، وبالأحكام الأصلية أي الاعتقادية يسمى علم التوحيد والصفات...وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية للغير بإيراد الحجج ودفع الشبه. «(التهناوي، 1996، ص88).

وفيما تعلق بتسمياته فقد اتخذ علم الكلام عدّة تسميات فقد سماه أبو حنيفة الفقه الأكبر لارتباطه بالأحكام الاعتقادية الأصلية وهي أحد أكبر منطلقاته الكلامية، في مقابل علوم الفقه التي هي خاصة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بالأحكام الفرعية العلمية، وسمي كذلك بعلم التوحيد والصفات، وقد نال علم الكلام شرف هذه التسميات لعلو منزلتهن فموضوعه هو الأصول الاعتقادية التي تبنى عليها الفروع لذلك فهو راس هرم العلوم. (المغربي، 1990، ص15).

موضوعه: إن مما هو معلوم بالضرورة أن العِلم لا يصير علماً إلاّ اذا كان له موضوع ومنهاج، ومسالك تفكيرية تروم الاجابة على مسائله وإشكالاته انطلاقا من قواعده ومحدداته ونظرياته .

وبناء على ما تقدم من تعريفات فإن علم الكلام يقوم على إثبات العقائد الدينية، بالأدلة العقلية، والشرعية، فإذا كان الدين يقوم على أصول وفروع، فعلم الكلام يتناول أصول الدين، في مقابل الفقه الذي يتناول الاحكام العمَلية، ومن أخص خصوصيات علم الكلام هو ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، وبعث الرسل أحكام الآخرة .

ومعنى هذا التحديد لموضوع علم الكلام أنه ابتداء في أصول الدين على أساس عقلي، ومن ثمّ الجنوح إلى البحث في أمهات المسائل الدينية، ومن هذا المنطلق فهو يروم إلى فهم مضمون الايمان، وهي قيمة مضافة ينشدها علم الكلام، وليس فقط مجرد نصرة العقيدة. (بدوي، 1979، ص13).

وقد أبدى القاضي الارموي أن موضوع علم الكلام هو ذات الله تعالى كما في قوله :» ..موضوع علم الكلام هو ذات الله تعالى إذ يُبحث فيه عن الموافقة الذاتية التي صفاته الثبوتية والسلبية ، وعن أفعاله أما في الدنيا كحدوث العالم، وأما في الآخرة كالحشر وعن الأحكام فيها كبعث الرسل ونصب الإمام في الدنيا من حيث إنهما واجبان عليه تعالى أم لا والثواب والعقاب في الآخرة من حيث أنهما يجبان عليه ام.« (التهناوي، 1996، ص89).

وممن جاء من بعدهم من طائفتهم ، حجة الاسلام أبي حامد الغزالي إذ يقرر أن موضوع علم الكلام هو الموجود بما هو موجود، أي من حيث هو غير مقيد بشيء.

فاذا كان لعلم الكلام موضوعه البَيّن، والذي تثبتت محدداته لدى الفقهاء والمتكلمين، فإن فائدته وغايته هي علة منتهاه، وهي الترقي من حضيض التقليد إلى شأو الايقان وارشاد المسترشدين، وذلك بإيضاح الحجة لهم، وإلزام المعاندين إقامة الحجة عليهم، وحفظ قواعد الدين. (التهناوي، 1996، ص89).

ولأجل تحقيق الغاية الجليلة، وهي الحفاظ على العقيدة الاسلامية من الخطر والزيغ، انبرى جِلَّة من العلماء والفقهاء، في الذود عن حياضها، وابعاد من جادلوا في ذات الله بغير علم، ممن وقفوا على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

سواحل وشطآن بحر العلوم، ولم يكلفوا أنفسهم الغوص في لججه وأعماقه، حتى بدت آراؤهم ضحلة، أمام حجج من وظفوا علم الكلام للضرورة التي بيناها في مفتتح هذا المقال، ومن هؤلاء أبو الحسن الاشعري. أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

من هو الاشعري صاحب المذهب ؟

هو ابو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر، واسمه اسحاق بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى أبو الحسن الاشعري، كان أبوه اسماعيل بن اسحق سنياً جماعياً حديثياً أي على مذهب أهل السنة والجماعة، والحديث، أو بمعنى محدّث. ولد ابو الحسن الاشعري بالبصرة سنة ستين ومائتين، قضى معظم حياته في مدينة بغداد إلى أن توفي بها سنة ستة وثلاثمائة. (الخطيب البغدادي، 2001، ص260).

وعن تعلُّمه فلا يعلم بداية دراسته، إلا قول من أرخ له، أنه تتلمذ على أيدي المعتزلة واخذ منهم، وفي مقدمة هؤلاء أبو علي الجبائي، (سعد رستم، 2009، ص124) وممن نهل منهم ونال قسطا وافرا من علوم أهل السنة، وأخذ عنهم الفقه وأصول الدين أحد أكبر ائمة الفقه الشافعي ببغداد الإمام أبو إسحاق المرْوَزي .

انكب الاشعري على التأليف، حتى بلغت مؤلفاته نحو الثلاثمائة، رصد له منها ابن عساكر وابن فورك نحو ثمانية وتسعين، ولعلّ أهمها – مقالات الاسلاميين – اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. (الحفني، 1993، ص 50، 51)، و له في الردود والحجاج على المخالفين والمبتدعين، طروحات وبيانات، ضمتها بعض كتبه، منها . الإبانة عن أصول الديانة. – الرد على الجهمية. – مقالات الملحدين.– الرد على ابن الروندي. – خلق الأعمال. – استحسان الخوض في الكلام. (الزركلي، 2006، ص263).

بدأ مشواره في التلقي، ومعاركة الآراء والمحاجات في مدارس المعتزلة، واغترف من مناهلهم العقائدية والمذهبية، تلقى منهم وتقدم فيهم، ثمّ رجع وجهر بخلافهم (الزركلي، 2006، ص263)، وفي رواية محمد بن علي الصوري:" ...كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعري فجحرهم في أقماع السّمسم" (الخطيب البغدادي، 2001، ص261).

يقول عنه ابن خلكان: "كان ابو الحسن الأشعري معتزلياً، تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، ورقي كرسيا ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعفني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الابصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم." (ابن خلكان، 1972، ج3، ص285).

بعض من مناظراته:

وحصلت له مناظرات مع شيوخه ومنهم ابو علي الجُبَّائي، وأشهرها تلك التي وقعت بينهما حول مسألتي "الأصلح والتعديل" ومما جاء فيها كما ذكرها السبكي في كتاب " طبقات الشافعية.

سأل الأشعري أبا علي الجبائي فقال :" أيها الشيخ ! ما قولك في ثلاثة: مؤمن، وكافر، وصبيّ.

فقال الجبّائي: المؤمن من أهل الدرجات، والكافر من أهل الهلكات، والصبي من أهل النجاة.

فقال الأشعري: فإن أراد الصبي أن يرقى إلى أهل الدرجات: هل يمكن ؟

قال الجبائي : لا ! يُقال له : إن المؤمن إنما نال هذه الدرجة بالطاعة، وليس لك مثلها.

قال الأشعري : فإن قال : التقصير ليس مني . فلو أحييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن.

قال الجبّائي: يقول له الله : كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ولعوقبت، فراعيت مصلحتك وأمّتك قبل أن تنتهي إلي سن التكليف.بقال الأشعري: فلو قال الكافر: يا ربّ ! علمتَ حالَه كما عَلِمتَ حالي، فهلا راعيت مصلحتي مثلَه ؟!

فانقطع الجبائي. (السبكي، 1964، ج3، ص 356).

إن المتأمل في هذه المناظرة يدرك مسار آراء أبي الحسن الأشعري، واتجاهات مذهبه، المبنية على ان العقل الإنساني قاصر عن الإحاطة بالحكمة في أفعال الله، وأن الفعل الإلهي لا يخضع لمنطق العقل البشري وموازينه، وعليه فإن هذا المبدأ العام إنما يحدد معلماً هاماً من معالم الفكر الأشعري الذي تتوقف عليه، آراؤهم الكلامية، في أن الأحكام التوقيفية في أفعال الباري عزّ وجلّ تترجح على الأحكام التّوفيقية أو التعليلية. (سعد رستم، 2009، ص127).

ومع ذلك لم ينكر الأشاعرة توظيف العقل عند اقتضاء الاستدلال في المسائل التوفيقية أو التعليلية، وانتقد الجمود والتقليد، بقوله: » أما بعد فإن طائفة من الناس جعلوا الجهل رأس مالهم وثقل عليهم وثقل عليهم النظر والبحث عن الدين، ومالوا إلى التخفيف والتقليد وطعنوا على من فتش عن أصول الدين ونسبوه إلى الضلال. «(أبو الحسن الاشعري، ص95).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ولم تتوقف مناظرته للجبائي عند هذا الحد، من المسائل كما في النص الذي أورده عبد القاهر البغدادي فقد تعدتها إلى مسائل تعرف بالتحصينات، كشف فيها الاشعري ضلالات الجبائي ودحض حجته، قوله: »..ودار بينه وبين الجبائي مسائل تعرف بالتحصينات، بين فيها ضلالات الجبائي، بتسميته الإله مطيعا للعبد إذا فعل مراد عبده، والتزم قياسه في قوله أن الطاعة موافقة الارادة، وسماه محبلا للنساء لخلق الحبل فيهن، وهي البدعة توقع الناس/ بإحبال مريم وحدها فتعالى الله عن ذلك قولهم علوا كبيراً . « (البغدادي، 1992، ص130).

مذهب الأشاعرة من خلال آرائهم الكلامية:

ما إن أوشك القرن الثالث الهجري على نهايته، حتى كانت معالم التشكل والانتماء المذهبي للأشاعرة قد ظهرت في الأفق، وبرز معها ما يسمى بعلم الكلام السُني، أي نصرة عقائد أهل السنة بالأدلة العقلية وما يعاضدها بالأدلة النقلية، وذلك في نسق مذهبي متكامل، وقد سبق هذه المرحلة بوادر ظهرت هنا وهناك، وهي عبارة عن ردود كلامية على آراء أهل السنة والجماعة، وهؤلاء هم أسلاف المعتزلة الأوائل بلا ريب. (المغربي، 1990، ص267).

لقد بيّن الأشعري في مقدمة كتابه " الإبانة " مذهبه ومآخذه على المخالفين، من المعتزلة إجمالا، ومن حذا حذوهم في الزعم والتوهم من الجهمية والقدرية وغيرهم، ووقف منهم على قَدْرٍ مماثل من الحجج والبراهين، ومما جاء فيه :

« أما بعد: فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد لرؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهان، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين فخالفوا رواية الصحابة عن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم في رؤيته بالأبصار، وقد جاءت بذلك الروايات من الجهات المختلفات وتواترت بها الآثار وتتابعت الأخبار... « (الاشعري، 1990، ص42).

ولم يزل الأشعري يتابع حديثه، موجها كلامه إلى أولئك الذين تشابهت عليهم الآراء، وتذبذبت مواقفهم في إتباع المنهج الحق، وذلك في سياقات كلامية افترضها الأشعري أنها تساؤلات تخفيها صدورهم ولم تلهج بها ألسنتهم، وأوضح بالحديث، وأبان عن منبع آرائه وأصول مذهبه وكان رده....

« ... فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول وديانتنا التي ندين بها هي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون. « (الاشعري، 1990، ص43).

وفي سياق متصل يُبين الأشعري أن مذهبه ليس بدعا، وإنما هو تابع لمن كان له الفضل، وقصب السبق في إبانة الحق ودحض الضلال: » وبما كان عليه أحمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ وعمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمه الله ـ تعالى من إمام مقدم، وكبير مفهم ورحمته على جميع أئمة المسلمين. (الاشعري، 1990، ص43).

مسألة الألوهية "براهين وجود الله"

إن أولى البراهين التي انبرى لها أبو الحسن الأشعري في العقائد هي مسألة وجود الخالق، واعتمد في ذلك على النظر والتأمل في خلق الإنسان، وتطوره مذ كان نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ لحماً وعظاماً ودماً، إلى أن اكتملت خلقته دون أن .يكون له عناية في ذلك، ومن كلامه في ذلك قوله:

« الإنسان إذا فكّر في خلقته: من أي شيء ابتدأ، وكيف دار أطوار الخلقة طوراً بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة، وعرف يقيناً: أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته، وينقله من درجة إلى درجة، ويرقيه من نقص إلى كمال....علم بالضرورة أن له: صانعاً، قادراً، عالماً، مريداً....وكما دلت الأفعال على كونه: عالماً، قادراً، مريداً....دلت على العلم، والقدرة، والإرادة لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهداً وغائباً. « (الشهرستاني، 1984، ص106).

ثم ينتقل الأشعري بطريقة عجيبة دلّت على تمكنه وتبحره في المسائل العقائدية، حين يقدم البراهين غير المناقضة للعقل، حين يظهر ملازمة الصفة للموصوف قطعا، ثمّ يتبع ذلك بالقرائن الدالة على صحة البراهين قوله: » وأيضاً لا معنى للعالم حقيقة إلاّ أنه ذو علم، ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة، وللمريد إلا أنه ذو إرادة، فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان، ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث، ويحصل بالإرادة التخصيص بوقت دون وقت، وقدر دون قدر، وشكل دون شكر « (الشهرستاني، 1984، ص106) .

إن البرهان الذي يسوقه الأشعري لإثبات وجود الله وقدرته يقوم على الاستدلال من نقص حال الإنسان على وجود علّة كاملة وصانع مدبّر. وهي البراهين المعتادة عند المتكلمين من الاستدلال على الصانع من إحكام صنعة العالم وتدبيره. (بدوي، 1979، ص534).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

صفات الله:

تعد مسألة الصفات عند الأشاعرة إحدى مسائلهم الكبرى التي سالت فيها أقلامهم، وتحدثت بها ألسنتهم في ردودهم وحججهم الكلامية على المعتزلة، والمشبهة، والحشوية، وغيرهم في ان الله تعالى لا يشبه شيئاً " لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحِدَث حكمها. ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات، أو من بعضها. فان أشبهها من جميع الجهات كان محدثا مثلها من جميع الجهات. وان أشبهها من بعضها كان محدثا من حيث أشبهها ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديماً. (الاشعري، 1955، ص 20).

ثم يورد كعادته الأدلة السمعية فيستشهد بخير برهان " ليس كمثله شيء.

وحدانية الله:

يستند الأشاعرة في إثبات الوحدانية على دليل التمانع وهو الاداة الكلامية المشهورة بين المتكلمين، وهو أقوى البراهين في تثبيت الوحدانية لله، فيصوغ الأشعري هذا الدليل فيقول مبيناً ضرورة الواحد: » لأن الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على أحكام ولا بد أن يلحقهما العجز، أو واحد منهما لأن أحدهما إذا أراد أنن يحيي إنساناً وأراد الآخر، أن يميته لم يخل أن يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر ويستحيل أن يتم مرادهما جميعا لأنه يستحيل أن يكون الجسم حياً ميتاً في حال واحدة، وإن لم يتم مرادهما جميعا وجب عجزهما، والعاجز لا يكزن إله ولا قديما، وإن تمّ مراد أحدها دون الآخر وجب لمن لم يتم مراده منهما أن يكون عاجزا، والعاجز لا يكون إله ولا قديما «. (الاشعري، 1955، ص 20).

ويرى الشهرستاني صورة أخرى لدليل التمانع وهي الاستغناء بالذات وبرهن على أنها أدلّ استحالة الالهين من دليل التمانع في الفعل ويقدر الشهرستاني الاستغناء كدليل استحالة وجود إلهين، فيمضي في الافتراض قائلا: » لو قدرنا الالهين استغنى كلّ واحد منهما عن صاحبه من كل وجه، خرج المستغني عنه عن كمال الاستغناء فإن المستغنى على الإطلاق من يستغنى به ولا يستغنى عنه فيكون كل واحد منهما مستغنى عنه فيكون مفتقرا قاصرا درجة الاستغناء المطلق فلن يتصور إذاً إلهان مستغنيان على الإطلاق والله الغنى وأنتم الفقراء « (الشهرستاني، 2005، ص 93).

يعد الأشاعرة من نفاة التشبيه والتجسيم، والحلول والاتحاد في المخلوقات، وغير ذلك من صفات النقص التي لا تليق بالذات الإلهية، وهي من المسائل الكلامية التي ما لَانَ للأشاعرة فيها جانب في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تصدِّيهم لنزعات التجسيم والتشبيه في اليهودية والنصرانية، وبعض الفرق المنتسبة للإسلام والتي وقعت في وحل هذه الأفكار، ونقلت إلى مذاهبها ما أنبئ من مسوغاتهم الادعائية كالنصارى.

واحتج الأشعري على أولئك الذين ادعوا أن الله يشبه المخلوقات بقوله: » لو كان يشبه شيئا من الأشياء لكان لا يخلو من ان يكون يشبهه من كلّ جهاته، أو يشبهه من بعض جهاته فإن كان يشبهه من كلّ جهاته، وجب أن يكون محدثا من كلّ جهاته، وإن كان يشبهه من بعض جهاته وجب أن يكون محدثا مثله من حيث أشبَهَهُ، لأن كلّ مشتبِهين حكمهما واحد فيما اشتبه به، ويستحيل أن يكون المحدَث قديما والقديم محدَثاً، وقد قال تعالى وتقدس {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } وقال تعالى وتقدس { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدْ} (الاشعري، 1995، ص44).

كلام الله ومشكلة خلق القرآن :

على عكس المعتزلة، يثبت الاشاعرة على أن الله متكلم وله كلام، ودليلهم في ذلك أن الله ابتعث الرسل، وتكليفه لعباده بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، مما يدل على أنه آمر ناه وأن له كلام، وعدم الكلام أي الخرس والسكوت، وهي صفات غير مواتية للذات الالهية.

لكن ما معنى الكلام والمتكلم عند الاشاعرة؟

يرى الاشاعرة أن الكلام ليس هي الأصوات التي والحروف، المتعارف عليها، بل هو القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه من الرشادات، وهذا هو الفكر الذي يدور في النفس، والدليل على إثبات الكلام النفسي، أن العاقل إذا أمر عبده بأمر أوجد في نفسه اقتضاء الطاعة منه وجدانا ضروزيا.

وممن حاول الاستدلال والاستنباط على وجود الكلام النفسي من كلام المعتزلة أنفسهم ففي مذهبهم أن المفكر قبل ورود السمع يجد من نفسه خاطرين أحدهما يدعوا إلى معرفة الصانع وشكر المنعم وسلوك الخير، والثاني يدعوا لخلاف ذلك، وهذان الخاطران مخبران عن الكلام النفسي، فهو كلام النفس وحديثها. (الشهرستاني، 2005، ص 296).

وحول مسألة كلام النفس، يورد الاشاعرة دليلا لغويا، ففي اللغة يقال كان في نفسي كلام، وحورت في نفسي قولا، لقول الأخطل:

إنّ الكلام لَفِي الفُؤادِ وَإنمِا جُعِلَ اللّسانُ عَليهِ دَلِيلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لذلك فإن الكلام الحقيقي هو الذي يدور في النفس، وأما العبارات فتسمى كلاما جوازا، لأنها ليست بكلام حقيقة لأنها معبرة عنه فقط. (الشهرستاني، 2005، ص322).

أما عن خلق القرآن ، فهو من المسائل التي تداعت عنها مجادلات واسعة بين العلماء والفرق الكلامية، وكان في مقدمة من قالوا أن القرآن مخلوق هم المعتزلة، وجاء الرد من الاشاعرة، مفحما لما تَقَوَّل به علماؤهم، وقدموا في ذلك الادلة النقلية والعقلية، يثبتون فيها على أن القرآن غير مخلوق، وكان من ردودهم المفحمة لأقوال المعتزلة، انطلاقا من استدلالات المعتزلة النقلية من القرآن نفسه، على أنه مخلوق لقوله تعالى : { مَا يَأْتِيهِم مِنْ ذِكرٍ مِن رَّبِهِمْ مُحْدَثٍ} (سورة الأنبياء، الآية 6)،

برهن الاشاعرة على أن الذكر في هذه الآية ليس هو القرآن، بل هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، ويخبر أنهم لايأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل لايأتيهم ذكر إلا كان محدثا، وإن لم يقل هذا لم يوجب أن القرآن محدثا. (الاشعري، 1995، ص32، 33).

وحول مسألة أن خطاب الله يتكون من أمر ونهي، وأنه يتطلب من يصدر إليهم الخطاب، وأنه لو كان أزليا لاقتضى من يوجه إليهم الكلام، فيرد الاشاعرة بأن كلام الباري تعالى لم يزل متصفا بكونه أمرا ونهيا وخبرا، والمعدوم على أصله مأمور بالأمر الأزلي على تقدير الوجود واستدل الاشعري على جواز ذلك بأننا في وقتنا .

الخاتمة: لم يتوقف الاشاعرة عند هذا الحد من الردود الكلامية التي أجبرهم غيرهم على الغوض فيها، بل ركبوا فيها كل هول من أهوال المدافعة والذود عن حمى أهل السنة والجماعة، التي اغترفوا من معينها، و كان الاشعري عميد المذهب قد صرح أنه لم يكن بدعا في مذهبه، بل حذا حذو من سبقه، فلم يكن أول المتكلمين بلسان أهل السنة، وإنما هو مكمل لما جاء على سنن غيره.

وفي حقيقة الامر فإن الاشعري لم ينسج على منواله، ولم يبتدع مقالة، ولا هو اخترعها، ولا انفرد بمذهب، وإنما هو زاده بسطة وشرحا.

وكان حضوره في ميدان المنافحة والدفاع عن السنة قويا، مما جعله يتميز عمن سبقه من علماء السنة، ولقد استطاع ارباك مخالفيه بآليات البرهنة، ومنهج الاستدلال الذي رتب فيه ردوده قياسا عقلا

وكان لعبقريته في الدفاع عن السنة، ان كثر أتباعه ومريدوه، وانظم إليه أكابر العلماء وأساطين الأئمة، وساروا على نهجه في الاغتراف، واكتسبوا عنه اليات الدفاع وسوق الادلة والبراهين. مأمورون بأمر الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تعالى الذي توجه على المأمورين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. (الاشعري، 1995، ص35). وتقديم تفسير لهذه النتائج خاصة ما تعلق بالفرضيات المطروحة ومدى صحتها.

المصادر والمراجع:

1 - الأشعري أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق بشير محمد عيون،(دمشق ط3، مكتبة دار البيان، 1411هـ-1990.

2 - الأشعري أبو الحسن، كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، تحقيق حموده غرابة، القاهرة،

3 - الأشعري أبو الحسن، رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، دار الكتب العلمية، 1995.

4 - الايجي عبد الرحمان بن محمد، المواقف، عالم الكتب بيروت 1999.

5 - البغدادي عبد القاهر، الملل والنحل، تحقيق ألبير نصري قادر، بيروت: دار الشروق.

6 - التهناوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الترجمة إلى العربية عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون.

7 - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الاسلامي،ط1، 1422هـ/ 2001.

8 - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الاسلامي،ط1، 1422هـ/ 2001.

9 - ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق ، عبد اله محمد الدرويش، دمشق دار يعرب، 2004.

10 - خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت دار العلم للملايين،ط15، 2006

11 - ابن خلكان شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، دط، دت.

12- الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار معروف عواد، مؤسسة الرسالة.

13- السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحى، دار إحياء الكتب العربية.

14- سعد رستم، الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات، دمشق دار الأوائل ط3، 2005م

15- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق أبو محمد بن فريدن، (القاهرة المكتبة التوفيقية.

16- عبد المنعم الحفنى، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الاسلامية، القاهرةّ : دار الرشاد،1433هـ/1993.

17- علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الاسلامية الكلامية، القاهرة ،مكتبة وهبة، 1990

18- عبد الرحمان بدوي، مذاهب الاسلاميين، بيروت، دار العلم للملايين،ط2 ،1979.

19- الفرابي أبو نصر: إحصاء العلوم، تح علي بوملحم، بيروت، دار مكتبة الهلال،ط1، 1996.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com